المهارات اللغوية عند الطفل في ظل نظريات التعلم: النظرية السلوكية نموذجا

الأستاذة: نـوال حـيـفـــري
أستاذة مكلفة بالدروس
جامعة عبد الحميد بن باديس
كلية الآداب والفنون
قسم اللغة العربية وآدابها جامعة مستغانم

تكتسب اللغة أهمية بالغة في حياة الإنسان لما لها من كبير الأثر في عملية التواصل مع الآخرين، كما أنها أساس تعلم العديد من المهارات والمفاهيم الخاصة بعلوم متنوعة كما أنها أداة أساسية للحصول على المعلومات واقتناء المعارف المعبرة عن الآراء والأفكار الذاتية، فاكتساب اللغة عند الطفل أساسا يكون لتنمية البسيط منها وتطويره ومن ثم الإرتقاء به.

ولأن الكثير من أشكال التفكير الإنساني قائمة على اللغة يكون تعلم الأطفال لأسماء الأشياء وكيفية التعبير عنها ومحاولة إحداث علاقات بين المفاهيم المختلفة باستخدام الكلمات التي تدعم اللغو تجعلها عامل تأثير بارز القيمة في كيفية اكتساب المعلومات وتركيبها ثم عرضها باعتبار اللغة لا تقف عند كونها وسيلة اتصال فحسب بقدر ما هي تشكيل لنمط التفكير.

وهو ما يتناسب مع تعريف علماء النفس للغة " بأنها الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أي صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها وخصائصها والتي بها يمكن تركيب هذه الصورة مرة أخرى في أذهاننا وأذهان غيرنا بواسطة كلمات في تركيب خاص ". (1)

ليس بالضرورة أن يكون تناقل الحديث والعبارات المتبادلة معبر عن صورة ذهنية مدركة ولو كانت مرتبة ترتيبا ذهنيا عند أحد مستمعي

الحديث فاستقبال الصورة الذهنية عند شخص ما تختلف عن مطابقتها في الاستقبال بعد الإرسال عند شخص آخر أو عدم وجودهـــ تؤدي اللغة وظيفتها السلوكية باعتبارها وسيلة تعبير عن أفكار الإنسان المتكلم ووجدانه، وتدرك الوظيفة في مدى استجابات السامع للكلام.

وكثيرا ما تعجز اللغة عن أداء الوظيفة السيكولوجية لاختلاف الحالات العقلية في ذهن السامع والمتكلم ويعود ذلك الاختلاف لتباين خبرات كل منهما وذاكرته وتخيله ودقة استعماله للكلمات والجمل (الكبير والطفل).

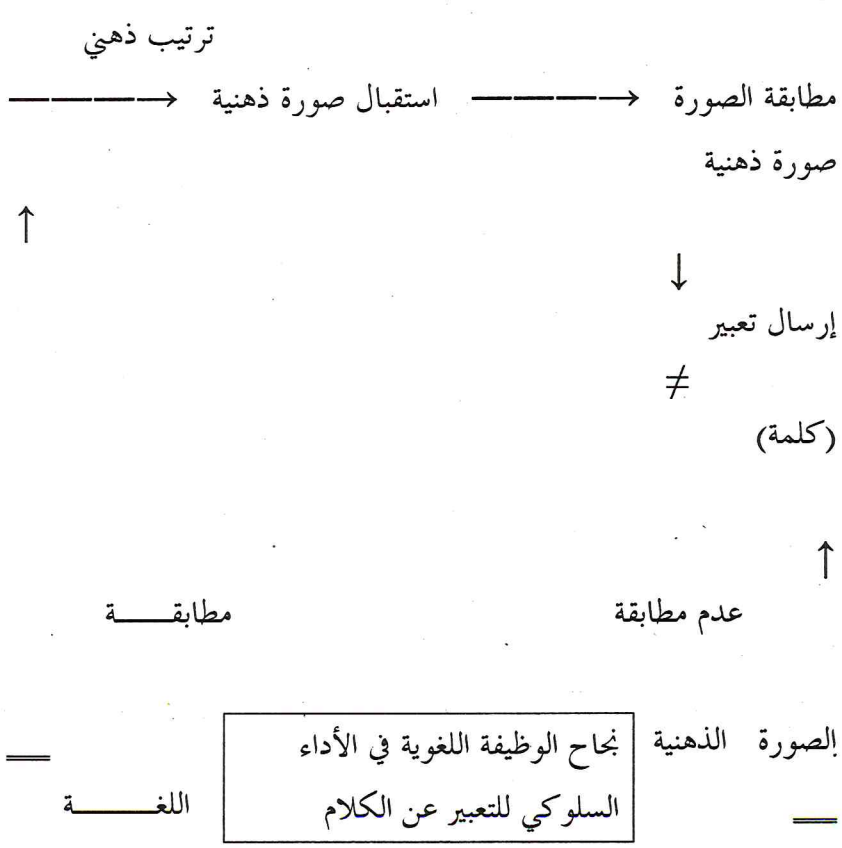

ومن هذا المنطلق " يعتقد شومسكي ومساعدوه أن اكتساب اللغة مرهون إلى حد كبير بالبنى اللغوية الفطرية التي توجد في أصل الإنسان، وإن كانت هذه البنى اللغة الخاصة تبدأ عملها في مرحلة محددة من النضج وهي تزود الطفل بمعلومات مبرمجة مسبقة على نحو فطري. فالطفل يولد وهو يمتلك بنى فطرية خاصة للغة وهذه التي تنضج في سياق اللغة التي تحيطه في وسطه الثقافي والاجتماعي ". [2]

تكمن تلك الاستعدادات للتحصيل اللغوي عند الطفل في تطوير قدراته التعبيرية عن شخصه تقليدا أو محاكاة. فبنى اللغة الخاصة ذات الطابع الفطري تكمن في ما يتداوله الطفل من كلام داخل الإطار الاجتماعي الذي يحيطه ويرعاه ويدعم تحديده لمفاهيم الأشياء سواء بالتعود عليها أو بإدراك معناها من استعماله لما هو مجرد منها في مراحل لاحقة.

" فالطفل كما يذهب شومسكي يولد وهو مزود بقدرة فطرية خاصة على تعلم اللغة وأن هذه القدرة تميل إلى النشاط بين الشهر الأول من العمر والسنة الخامسة ثم تبدأ القدرة بالضمور بعد أن تكون قد أدت الغاية من وجودها.[3] (الجدول **1**).

عامل التشابه	تعلم المواد اللفظية بطريقة أسهل لتشابهها مع مواد سبق تعلمها. (كرسي معين تعود الجلوس عليه، لعبة ألفها، حذاء يلبسه)
سهولة النطق	الكلمة الأكثر سهولة في النطق تكون أكثر قابلية للتعلم من الكلمات الصعبة (كرة، طابة، مستديرة)
المعنى	كلما كانت المواد ذات معنى، كان تعلمها من التي ليس لها معنى (القلم، العلم، هلم)
التصور	الصورة العقلية تسهل التعلم عن المثيرات المجردة
التنظيم	يعطي التنظيم معنى ويسهل الاستدعاء، ومن الأفضل إشراك المتعلم في هذا (كلمة، جملة، عبارة، فكرة)

(الجدول 1)

" من أنصار التعلم اللفظي والمهتمين به كل من الباحثين البارزين:

(**Noem chomsky Jerome brunar**) إذ يقوم تعلم اللغة على مبدأين:

1/- يتكلم الأطفال اللغة بالتقليد دون تفسير أشكالها الواسعة النطاق.

- يختلق الطفل كلمات جديدة عند الحاجة تفيض جدة وأصالة.

2/- يتكلم الطفل لغة يصححها الكبير "[5]

ولتعزيز ما جاء به برونار **Brunar** وشومسكي **Chomsky** يأتي سكينر **Skinner** صاحب نظرية الاكتساب اللغوي السلوكي " الذي يركز فيه على العوامل الخارجية في عملية التعلم بصفة عامة، وتعلم اللغة بصفة خاصة، لأنه يربط عملية التعلم بالمحيط البيئي الذي يتحمل مسؤولية التدعيم عند الطفل غير المزود بالقدرة اللغوية وإنما الإستراتيجية عامة للتعلم الذي يعتبر شرطا ضروريا لتحقيق الاكتساب " .(6)

ترى هذه المدرسة السلوكية أن اكتساب اللغة " يتم بطرقة متشابهة لتعلم الاستجابات غير اللغوية عن طريق المحاكاة **Imitation** ، والترابط أو الاقتران **Association** والاشتراط **Condition** والتكرار **Répitition** والتدعيم أو التعزيز **Renforcement** " (7).

ويتضح هذا جليا حسب رأي سكينر في تعلم اللغة بين مثيرين لصدور استجابة ما:

معنى اللفظ

↓

عملية اقتران بين اللفظ وبين المثير الدال على هذا اللفظ

المثيرات اللفظية (أصوات كلامية) ⟵ مثيرا شيئية

↓

اقتران منتظم متكرر .(8)

يكون تعامل الطفل باستمرار مع الأم فهي موسوعته اللغوية الأولى لذا تنفرط منها حلقات عقد اللغة من كلمات ذات معنى دلالي يكمن في صميم الاستعمال اليومي الضروري والثانوي: كرسي، كأس، لعبة، قطة وتكرار هذه الكلمات بشكل متكرر يحمل إثارة معينة تؤدي حتما إلى

رسوخ نفسي للمثير اللفظي أما بعض التجاوزات من قبل هذا المخلوق الصغير التي تؤدي إلى توبيخ أو مكافأة فله أثر معاكس لأنه إما للتهذيب أو لترسيخ قواعد تربوية للسلوك العام مثل كلمة لا التي يسمعها الطفل ويستجيب لها حتى لا ينال العقاب وبتكرارها يدرك عدم الاستجابة.

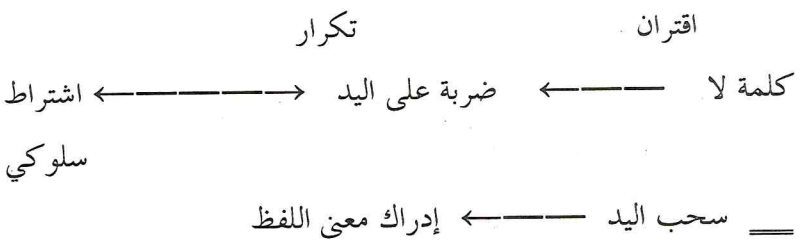

من هنا يمكن القول أن الطفل تعلم معنى اللفظ من حيث يمكن منحه استجابة معينة لذلك اللفظ لأن اللغة بهذا الشكل تعتبر سلوكا يكتسب بالتعلم وليس كيانا مستقلا بذاته إيمانا منه بأن اللغة ما هي إلا أنواع من السلوكيات المختلفة التي ينجزها الفرد.

وهذا ما يؤكد أن النظرية السلوكية ذات دور تواصلي في الإنجاز اللغوي وأهميته لأن السلوك اللغوي يفقد قيمته عندما يغيب التلقي الذي يقوم بدور التدعيم والتعزيز، فلكي يكتسب أي طفل لغة ما يجب أن يقوم بأفعال وردود أفعال وعمليات انتقائية حتى يصل تحقيق السلوك اللغوي الصحيح والمقبول، فمثلا قد ينجز الطفل متتاليات صوتية ربما تكون صائبة أو خاطئة، ولكن يختار الصائب ويترك الخاطئ، وينتج ذلك من الدعم والمكافأة الذين يأتيان من الوسط المحيط.

هذه النظرية تدعم السلوك العام للطفل وتحقق عملية التعلم أكثر من إطارات أخرى مثل المعرفة والعقلانية لأن إنجاز الطفل للتفسير اللفظي يتم

عبر عمليات متكررة آلية قائمة على الملاحظة والتجريب. كما تتدخل الوسائل الذاتية خاصة بالمكتسب آنفا كالحدس اللغوي، أو الصور الذهنية وإنما الدعم اللغوي هذا يأتي من البيئة المحيطة ليصل كل من المتكلم والمستمع إلى فهم المتتاليات الصوتية المنتجة وإعطائها معنى معين. لذا فالمعنى المدرك لا يمكن أن يتحقق إلا بحضور الظروف والاستجابة وإلا انعدم المعنى وانعدمت اللغة.

الإحـــــــــــــالات

1- كريمان بدير وإيميلي صادق. تنمية المهارات اللغوية للطفل. ص 7

2- امطانيوس ميخائيل. الإشكالات الفلسفية في فكر تشومسكي اللغوية. ص 26.

3- المرجع نفسه. ص 32.

4- سرجيو سبيني. التربية اللغوية للطفل. ترجمة فوزي عيسى وعبد الفتاح حسن. ص 98.

5- نوعيم شومسكي. المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها ترجمة محمد فتيح. ص 86.

6- انظر د/حلمي خليل. اللغة والطفل. دراسة في ضوء علم اللغة النفسي. بيروت. دار النهضة العربية. 1986. ص 28.

7- روس. التربية الحسية في دور الحضانة. ترجمة عواطف ابراهيم وعصمت مطاوع. ص 36

8- المرجع نفسه. ص 38

المصادر والمراجع:

1/- كريمان بدير وإميلي صادق. تنمية المهارات اللغوية للطفل. عالم الكتب. الطبعة الأولى. 2000.

2/- امطانيوس ميخائيل. الإشكالات الفلسفية في فكر تشومسكي اللغوية. مجلة المعلم العربي. السنة 43. العدد 1. 1990.

3/- سرجيو سبيني. التربية اللغوية للطفل. ترجمة فوزي عيسى وعبد الفتاح حسن. دار الفكر العربي. القاهرة. 1991.

4/- نعيم شومسكي. المعرفة اللغوية. طبيعتها وأصولها. ترجمة محمد فتيح. دار الفكر العربي. القاهرة. 1993.

5/- روس. التربية الحسية في دور الحضانة. ترجمة عواطف إبراهيم وعصمت مطاوع. دار النهضة العربية. القاهرة. 1967.

6/- حلمي خليل. اللغة والطفل. دراسة في ضوء علم اللغة النفسي. بيروت. دار النهضة العربية. 1986.